# (٥١) سمنون المحب[١]

**ذكر الشيخ سمنون المحُبِّ رحمه الله:**

كان رحمه الله وحيدًا في شأنه، فريدًا في أوانه، مقبولاً لأهل زمانه، وله إشاراتٌ غريبة، ورموزٌ عجيبة، وهو في المحبّةِ آيةٌ، والأكابر أقرُّوا بكماله، واعترفوا بفضائله.

وقد سُمّي رحمه الله لقوّةِ محبّته لله سمنون المحب.

وكان من أقران الجُنيد.

توفي في سنة سبعين ومئتين.

وله في المحبة مذهبٌ خاصٌّ، حتى قدّمَ المحبَّةَ على المعرفة، وسائرُ المشايخ قالوا على العكس.

وقال سمنون: أصلُ الطريق إلى الله تعالى والقاعدة فيه إنّما هو المحبّة، وغيرُ المحبّةِ بالنسبة إليها هباءٌ منثور.

نقل أن سمنونًا لمّا أراد الحجَّ، وصل إلى الفَيْد[٢]، طلب منه أهل الفَيد أن

---

(١) هو أبو الحسين سمنون بن حمزة الخواص، وترجمته في:

طبقات الصوفية ١٩٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٩، تاريخ بغداد ٩/ ٢٣٤، الرسالة القشيرية ٨٠، مناقب الأبرار ٤٣٧، المنتظم ٦/ ١٠٨، صفة الصفوة ٢/ ٤٢٦، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٤٤، روض الرياحين ١٧٥ (حكاية ٩٦) و٣٢١ (حكاية ٢٧١)، البداية والنهاية ١١/ ١١٥، طبقات الأولياء ١٦٥، نفحات الأنس ١٥١، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٩، الكواكب الدرية ١/ ٦٣٠.

(٢) فَيْد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة، عامرة، يودعُ الحاجُّ فيها أزوادهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم، ووهبوا لمن أودعوها شيئًا من ذلك. معجم البلدان.

يعظَهم، فصعد المنبر، وشرع في الكلام، ولم يَجدْهم مُستمعين، فنظر إلى قناديل المسجدِ وخاطبها، وقال: أقولُ لكم. فاضطربتِ القناديلُ، وتحرَّكَتْ، ووقعَ بعضُها على بعضٍ، وانكسرت.

نقل أنه رحمه الله كان يَعظُ يومًا، ويتكلّمُ في المحبّة، إذ جاء طيرٌ، ووقَعَ على رأسه، ثم نزلَ على يده، ثم جلس على حجره، ثم نقر بمنقاره على الأرض، إلى أن جرى منه الدم، وخرَّ ميتًا.

نقل أن سمنونًا رحمه الله تزوَّجَ في آخر عمره مُتابعةً للسُّنة، وولِدَتْ له بنتٌ، وبلغتْ إلى ثلاث سنين، ومال إليها قلبُه يومًا، فرأى القيامةَ تلك الليلة في المنام، ورأى أعلامًا منسوبةً لكلِّ[1] قوم، ثم رأى عَلَمًا نُصب، ونورُهُ يُضيءُ العرصات، قال سمنون: لمن هذا العلم؟ قالوا: للذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤] فأدخل سمنون نفسَه في المحبّين تحت العلم، فجاء مَلَكٌ ومنعه، وأخرجه عنهم، فاستغاث سمنون وبكى، وقال: لِمَ تُخرجني من هذا القوم؟ قال: لأنَّ هذا علم المُحبّين، وأنت لستَ منهم. قال سمنون: كيف لا، ويُسمّوني سمنون المحب، واللهُ تعالى مُطّلعٌ على ضميري. فسمع هاتفًا يقول: يا سمنون، كُنتَ من المحبّين، لكن مذ مالَ قلبُك إلى الصبية محونا اسمَكَ من جريدةِ المُحبّين. فسمنون في النوم بكى ودعا، وقال: إلهي، إن كانتِ الصبيةُ قاطعةً للطريق بيني وبينك، فارفعْها بلطفك من اليمين، وخذها منّي[2]. وانتبه من النوم، فسمع صِياحًا وعويلاً، فسأل عنها، قالوا: وقعتِ البنتُ من طرفِ السطح، وماتت.

نقل أنه قال في مناجاته نوبةً: إلهي، كلّما امتحنتني وابتليتني تجدني ثابتًا مسلمًا، لا أتنفَّسُ على غير رضاك. فابتلاه الله تعالى في الحال بوجعٍ أليمٍ كادَ نَفَسُه أن ينقطعَ، وهو يتنفَّسُ، واصطبر، فلمّا أَصبحَ قال له الجيران: ما أصابك البارحة يا شيخ، فإنّا لم نسترحْ من صياحك يا شيخ إلى الصباح؟ والحال أنّه

---

(١) في (أ): منصوبة لكل قومٍ.

(٢) في (أ): بلطفك من البين، وخذ منّي.

كان ساكنًا، غيرَ صائحٍ، ولا يتنفَّس؛ لكنَّ الله تعالى جلَّ ثناؤه أوصلَ صياحَه إلى أسماع الجيران، ليعلمَ أنَّ السكوتَ هو السكوتُ الباطني لا الظاهري؛ فإنه لو كانَ ساكنًا في الباطن كما كانَ في الظاهر لَمَا سمعَ جيرانُه صوتَه، فامتحنه الله تعالى بذلك، لئلا يدّعي بما لا يطيق.

نقل أنه أنشدَ هذا البيت.

وليس لي في سِواك حظٌّ فكيفما شئتَ فاختبرني

فاحتبس بوله، وهو يدورُ في الكتّابات على الصبيان، ويقول لهم: ادعوا الله تعالى على زعم هذا المدّعي الكذّاب، لعلَّ الله تعالى يشفيني.

قال أبو محمد المغازلي: كنتُ أنا وسمنون في بغداد، فتصدّقَ شخصٌ أربعين ألف درهم على الفقراء، ولم يصلْ إلينا في ذلك درهمٌ، فقال سمنون: تعالَ نذهبْ إلى موضعٍ خالٍ، ونصلِّ بعددِ كلِّ درهمٍ تصدَّقَ به الرجلُ ركعةً. فذهبنا إلى مدائن[1]، فصلّينا أربعين ألف ركعة.

قيل: إنَّ شخصًا من غلمان الخليفة أَشهرَ نفسه بالتصوّف، وباع دينَه بدنياه، وحصلَ له قبولٌ عند الخليفة، وكان يقول في حقِّ أهل التصوف عنده، حتى ظهر سمنون، وترقّى شأنُهُ، واشتهرَ أمره، وانتشرَ صيته، فأوصلَ إليه الغلامُ المتصوّفُ أذًى كثيرًا، ويطلبُ فرصةً ليفضحه إلى أن كانت امرأةٌ منعّمةٌ تعرضُ نفسها إلى سمنون ليتزوّج بها، وهو يمتنع عنها، ولم يقبلْها، فذهبَتْ إلى الجُنيد تستشفعُ به إلى سمنون، فنهرها الجُنيد، ثم ذهبتِ المرأةُ إلى الغلام، ورمت سمنون ببهتانٍ، ففرحَ الغلامُ بذلك، وسعى في حقِّه إلى الخليفة حتى تغيَّرَ الخليفةُ عليه، وطلبَ السيّافَ، وسمنونًا، وأرادَ أن يأمرَ بقتله، فلمّا حضرَ سمنون، كلّما أرادَ الخليفةُ أن يتكلَّمَ، فما أطاقَ أن يتكلّمَ بشيءٍ، ورأى الليلةَ في المنام قائلاً يقول له: زوال مُلكك مُتَّصلٌ بزوال سمنون. فلمّا أصبحَ أكرمَ سمنونًا، وعزَّزه وردّه إلى مكانه، وازدادتْ عداوةُ الغلامِ معه إلى أن ابتلاه الله

(١) في (أ): فذهبنا إلى مدين.

تعالى في آخر عُمرِهِ بالجُذام، وشخصٌ آخرُ من المشايخ سمع بأن الغلام قد ابتُلي بالجذام، فقال: دعا عليه شخصٌ من أهل التصوف، فابتلي به، لكن قد أساء من دعا عليه وما أحسن، فإنه كان منازعًا مع أهل التصوف، وهم بسببه يحتاطون في أُمورهم، فأرجو من الله تعالى أن يشفيه. فرزقَهُ اللهُ تعالى الشفاءَ ببركة دعاء هذا الشيخ، فلمّا عرف الغلام بالحالِ بعد أن طاب جمعَ جميع أمواله، وبعثها إلى المتصوّفة تصدقًا عليهم، واعتقدَ فيهم اعتقادًا عظيمًا، ولم يقبل أحدٌ شيئًا من ماله، وتابَ الغلامُ، وحَسُنَ حاله.

قال بعض المشايخ: فهذا حال المُنكرِ العدوِّ لأهل الصلاح، فإنّه بسببهم رجعَ إلى الحقِّ في آخر الأمر، وتابَ توبةً نصوحًا، وطابَ من الجُذام، فما ظنُّكَ بصديقهم الذي يُحبُّهم، ويعتقدُ فيهم، ولذا قالوا: يصدقُ عليهم قولُ النبيِّ ﷺ: «هم القومُ لا يشقى بهم جليسهم»[(١)].

سُئل سمنون عن المحبة، فقال: صفاءُ الولاء، مع ذكرٍ دائم، قال الله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وقال: من أحبَّ الله تعالى وجدَ شرف الدنيا والآخرة، قال النبيُّ ﷺ: «المرء مع من أحب»[(٢)] فهم في الدنيا والآخرة مع الله تعالى.

وقال: وزنُ المحبّةِ بالبلاء؛ لئلا يدّعي كلُّ خسيسٍ بها، فإن من يرى البلاءَ يهرب.

قال: التصوفُ أن لا يكونَ الصوفيُّ مالكًا لشيء، ولا أَحدٌ سوى الله تعالى مالكًا له.

رزقنا اللهُ تعالى الفقرَ إليه، والتصوّفَ، ونفعنا ببركة أوليائه.

* * *

(١) حديث رواه البخاري (٦٤٠٨) في الدعوات، باب فضل ذكر الله عزّ وجل، ومسلم (٢٦٨٩) في الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر، والترمذي (٣٥٩٥) في الدعوات، باب رقم (١٤٠) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦١٦٨) في الأدب، باب: علامة الحب في الله، ومسلم (٢٦٤٠) في البر والصلة، باب المرء مع من أحب، وأبو داود (٥١٢٧)، والترمذي (٢٣٨٥).